طائر الوقواق والأعشاش المهدومة

حسين عسيلي

(١) شاهدته بعد انتظار
ينسلّ كالهذيان من هوس الظلام
ليثور يأخذ شكله الآتي
فالشمس دامية الخطى
والبحر يركب رأسه
وسفينة الغابات ذاهلةٌ وتنتظر الهياج
مرت غمامته الجريحة فارتدته واخطأت قمراً يلوذُ
يوزّع الظلمات أشباحاً فينقطع الصدّى
فأدق باب الصمت أدخل في زواريب المدى المجنونْ. . .
خمسون عاماً قد مضت.
والطائر المنوي تغمرني رؤاه
فرحاً تشظّى في دمي
مازال يعتصر الفضاء قصيدةً وحبيبةً ويمارسُ الرعشات
والسنديانةُ علبةُ الأسرار أسرابٌ تغادرها وفصلٌ يستقيل
بالأمس كانت عتمتي واليوم صارت إمرأة
خضّت بماء الفجر نهديها وأرضعت العيون. . .

* * *

(٢) يا طائر الوقواق
يا قلق التصاوير المراق على الدفاتر والشجر
خذني «معاك» لغرفة الإعدام
فأنا أحدِّق في الجدار
وبكومة العشق التي أحرقتها،
فتناثرت مذعورة بجعاتها كالجرذ تبحث عن خباء
وأنا دخانٌ هادئٌ فوق الدخان
وعبارة صفراء في كتب الهوى
جسدٌ تكوّر حنجره. .
أسطورة ذهبية المنقار تبحث عن فضاء
وجعٌ خفيف طائرٌ كالروح يبحث عن شفاء
محلول شمس نظفت كل الشوارع. .
تجمع القمر المبرمج في ليالي الإنتحار

* * *

(٣) يا طائر الوقواق. .
للبحر أرصفةٌ تفيضُ وعالمٌ متوهّجٌ تحت الرّمال
للصيف مملكة الشجر. .
للعابرين كؤوسهم والمرمر المسكوب من نهر القمر
والشعر ناقوس القدر
فالموت يفتح عينه كالصقر يغزو الواجهات
أتظل عاصفة الخريف على الحياد؟
أشجارنا مقطوعةٌ
وجراحها البيضاء تبحث عن رماد
أعشاشنا مهدومةٌ يا طائر الوقواق
أين تبيض أنثاك الوحيدة عندما يأتي المخاض؟

* * *

(٤) يا طائر الوقواق
يا دهشة الكلمات تنقلني لمنفاك الأخير
لأشم في عصب التشنج صورتي
هي فكرة تعبت وأخرى تستريح
وأنا أبصبص من شقوق نوافذي

(١) طائر الوقواق: نوع من الطيور التي لا تبني أعشاشاً لها فتضع بيضها في الأعشاش المهجورة.

فأرى جناحك لوّنته الشمس نهراً من ذهبْ
كي تخرج الغربان من رئتيّ أبخرة الصّدى
وقصيدةً نامت على وحل الزقاق
فتجعّدت كل المرايا في دمي
وبدأت أصرخ لا يدٌ تومي ولا برقٌ يلوح
نبتت لحى الأسماك فوق شواطىء
لكن ركبي لن يعود. . .

* * *

(٥) يا طائر الوقواق
يا رعدة كسرت زجاج الصحو
لتضجّ مثل الكورس الفجري
وتجيئني. .
بثياب من أكلوا إله التمّر في زمن المجاعة
ولعابهم طفلٌ ضرير
يبني بجمجمة النوى أقفاصه
وينام يحلم بالطيور الجارحة
عام مضى. . عامان
قبل ولادة السكين في عنق النهار
يبست دموع الانتظار
واسودّ نور الشمس في القضبانْ
فتآكلت. . رسمت بحبر رفاتها
زمناً يفر من الولادة. .
صهوات خيل لا تغير. .

* * *

(٦) يا طائر الوقواق
خذني لآخر رقصة في الأودية
فالموت يكمن في لحوم أصابعي
ويدي ظلامٌ يختفي خلف الظلام
وأنا وهذا الطائر المسجون في صدري
قدمان عاريتان
والعوسج المنويّ يختزل الطريق
خذني لآخر رقصة في المستحيل
نعلو ونهبط صارخَيْن. .
غداً نموتُ غداً نموتُ غداً نموتْ
فيردِّد الوادي الصدى المجروح ينقشع الغبار
فأفيق أهوي فوق صدر حبيبتي. .
وقصيدتي هربت من الشباك

لبنان الجنوبي

صدر حديثاً

الذاكرة المفقودة

دراسات نقدية

بقلم

الياس خوري

طبعة جديدة

دار الآداب